التلوث الأخلاقي في المدينة وأزمة القيم

Moral pollution in the city and the crisis of values

قراوي حمزة[1]، شابي أمينة[2]

[1] جامعة قسنطينة(الجزائر)، hamza.karaoui@gmail.com

[2] جامعة باتنة1 (الجزائر)، chabbiamina369@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2022-12-21 **تاريخ القبول**: 2023-06-14**تاريخ النشر**: 2023-06-16

ملخص:.

يتميز المجتمع الحضري اليوم بتحولات كثيرة على مستوى الأخلاق والقيم، انعكست في شكل ممارسات تميزت بها المدينة ودخلت ضمن دائرة التلوث الذي يحيط بها، فأصبحت تشكل تهديدا حقيقيا على المجتمع الجزائري وهويته، من حيث الأخلاق والقيم والمعاملات، فغيرت ذهنيات وسلوكيات وعلاقات الأفراد، واستهلكت كل ما تنتجه المجتمعات الغربية التي أوجدت لنا أزمة قيم حقيقية شهدها المجتمع الجزائري، وعلى غرار هذا تسعى هذه المقالة لتسليط الضوء على شكل جديد من التلوث وهو التلوث الأخلاقي، الذي ألقى بظلاله على المدينة وساكنيها في كل مجالات الحياة، وقد تناولت هذه الدراسة مفهوم الأخلاق والتلوث الأخلاقي، مصادره ومظاهره وارتباطه بالمدينة.

الكلمات المفتاحية: الأخلاق؛ التلوث الأخلاقي؛ المدينة.؛القيم.

Abstract :

Today; urban society is characterized by many transformations at the level of moral and values, which were reflected in the form of the practices that characterized the city and entered within the circle of pollution that surrounds it; and became areal defining factor for Algerian society and its identity in terms of morals values and transasactions it changed mindsets behaviours and relationships of individuals, and consumed _everything produced by western societies that created for us a real of values witnessed by Algerian society and along the lines of this article seeks to shed light on a new from of pollution which is moral pollution which cast a shadow the over the city and its inhabitants in all

areas of life, this study has dealt with the concept of morality and pollution ethics its sources and appearances and its association with the city

Keywords: ethics; moral pollution .; city, vakus

المؤلف المرسل: قراوي حمزة، **الإيميل**: hamza.karaoui@gmail.com

1_مقدمة:

لقد تبلورت مسالة الصراع بين الإنسان والبيئة الطبيعية، حيث أصبحنا نعيش في عصر تكتنفه المتناقضات وتلتهمه الماديات، وأضحى الإنسان أسير فوضى منظمة، فوضى زادته صراعا مع الحياة، وصراعا مع المجتمع، يلهث وراء المادة حتى أضحى أو يكاد أسيرا لوسائل عيشه التي ابتكرها" (عبدالله، 1993 ، صفحة 07)

فالعالم ألان في مخاض تحول جديد، تتلاشى فيه أمال البشرية من اجل بناء عالم أفضل، تسوده الحرية والإخاء والمساواة، كما تتدعم صورته القاتمة المقرونة باتساع الفروقات بين الناس والدول اتساعا لا مثيل له، حتى خيل للمرء انه أمام صورة من الماضي المتوحش، تعمه مظاهر البؤس والفاقة المتمثلة في النمو المطرد للبطالة، وتدهور مستوى المعيشة، واتساع دائرة الفقر والحرمان والتهميش، وتزايد الهوة بين الفقراء والأغنياء" (قيرة، 2011، صفحة 08).

وفي خضم هذا المخاض تشهد المجتمعات الحضرية تغيرات مست المنظومة القيمية على جميع جوانب الحياة، الاجتماعية الدينية، التربوية الاقتصادية والسياسية، تحت مسميات تحمل صفة العالمية، والتي تسعى لخدمة الإنسان وتحقيق كامل حقوقه المزعومة تحت اطر قانونية في ظاهرها، لكنها تحمل في باطنها الكثير من الأهداف والتوجهات الخفية، التي تسعى إلى طمس الهوية الثقافية والمقومات الأساسية لكل مدينة وخصوصياتها، والتي تتنافى وهذه الثقافة العالمية التي يراد ترسيخها برسم خارطة ثقافية واحدة تحت مضلة واحدة تجمع كل دول العالم، في ظل الصراع الحضري القائم من اجل ضمان بقاء هذه الثقافة التي يراد لها أن تسود العالم بأكمله.

وفي عز هذا الصراع والتحول، ظهر شكل جديد من التلوث ضرب المجتمعات الحضرية، لا يقل خطورة عن أنواع التلوث البيئي، بل هو هجمة شرسة وحملة موجهة لتفتيت الأخلاق والقيم، ألا وهو التلوث الأخلاقي .

وقد تحددت مشكلة هذه الدراسة الموسومة ب التلوث الأخلاقي في المدينة وأزمة القيم على النحو التالي:

ما هي مظاهر التلوث الأخلاقي في المدينة وأثره على قيم المجتمع الجزائري؟

أهمية الدراسة: تكمن الأهمية العلمية للموضوع محل الدراسة إلى كونه يدرس التغيرات الأخلاقية التي نعيشها، من انهيار لمنظومة القيم التي تمثل تهديدا حقيقيا للثقافة العربية وانتشار الثقافة الغربية، والتي تعمل على التوغل لفرض ثقافة عالمية واحدة تفرضها القوى العظمى في العالم، تحت عباءة واحدة تسعى إلى طمس كل الثقافات والقيم التي تتنافى وتوجهاتها، وإلغاء كل خصوصيات ومقومات المجتمعات العربية.

أولا: الإطار المفاهيمي للدراسة

1_ الأخلاق

تشكل الأخلاق في كل أمة أساس تقدمها، ورمز حضارتها، وثمرة عقيدتها ومبادئها، وقد جاءت الرسالات السماوية لتحث الناس على الالتزام بالأخلاق، والإسلام العظيم يعتبر الأخلاق عنوانا له، وقد حدد رسول الله محمد عليه الصلاة والسلام الغاية الأولى من بعثه بقوله " إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق " (الألباني، دت، صفحة 28) ووصف الله رسوله الكريم بأنه على خلق عظيم بقوله "وانك لعلى خلق عظيم " القلم . الآية 4.

ويؤكد الإسلام على أن الدين المعاملة، أي معاملة الناس بخلق حسن، ويتضح ذلك من خلال قول رسول الله " المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ." (مسلم، دت، صفحة 38)

يقول ابن منظور: "الخُلُقُ والخُلْقُ السجية فهو بضم الخاء وسكونها الدين والطبع والسجية" (منظور، دت، صفحة 1244)

اصطلاحا: عرفها عبد الكريم زيدان بقوله يمكننا تعريف الأخلاق، "بأنها مجموعة من المعاني والصفات المستقرة في النفس، وفي ضوئها وميزانها يحسن الفعل في نظر الإنسان أو يقبح، ومن ثم يقدم عليه أو يحجم عنه" (زيدان، 1408 ، صفحة 78)

التعريف الإجرائي: هي مجموعة من المبادئ المنظمة للسلوك، التي تحدد تعاملاته ببيئته التي يعيش بها على نحو يحقق الغاية والمصلحة العامة للمجتمع.

لذلك فان ثمة حاجة لأخلاق بيئية، متمثلة في الالتزام بالقيم ومراعاة الضمير لحماية البيئة من التلوث (سيلفان، دت، صفحة 45/44)

ويعتبر التلوث الأخلاقي من أخطر أنواع التلوث على الإطلاق، لأن الأخلاق هي الركيزة الأساسية التي يقوم عليها أي نشاط إنساني، فهي الأداة التي تنظم الحياة الاجتماعية من كل جوانبها التعبدية والتعاملية، ومن هنا فإن افتقاد الإنسان للأخلاق السليمة ينعكس أثره بصورة سلبية على تعاملاته وبيئته التي يعيش فيها، لأن البيئة الصحية النظيفة تحتاج إلى إنسان لديه من القيم الأخلاقية، ما يجعله يغار على بيئته ويسعى جاهدا للمحافظة عليها.

. مفهوم التلوث الأخلاقي

يعرف التلوث الأخلاقي: بأنه مجاورة الفساد للصلاح في المجتمع، بفعل تسرب بعض القيم والأخلاقيات الفاسدة في الوسط الاجتماعي، لتحتل حيزا في هذا الوسط، ومن ثم تفرض منطقها الخاص الذي يتضمن جملة من القواعد والمعايير المقبولة، ومن أهم ميزات هذا الحيز قابليته للتمدد أو التقلص، غير أن التوسع أو التمدد سيكون على حساب حيز الصلاح، وأي تقلص سيكون لصالح مساحة الصلاح، ويتوقف التقلص والتمدد على مدى مناعة الجسم الاجتماعي ومقاومته، وعلى درجة نشاط وخمول قوى الإصلاح، وعوامل البناء مقارنة بعوامل الهدم والإفساد (جيملي، 2011، صفحة 50)

ومن خلال ما سبق يمكن تعريف التلوث الأخلاقي بمقارنته بأنواع التلوث البيئي، فالتلوث الأخلاقي شبيه بالتلوث البيئي من حيث المفهوم، إذ أن التلوث البيئي يعني أن تتغير البيئة من حالتها الطبيعية السليمة، إلى الحالة السيئة وغير الطبيعية، كذلك التلوث الأخلاقي يعني أن تتغير أخلاق أفراد المجتمع من الحالة الإيجابية والصحيحة، إلى الحالة السيئة والسلبية.

لقد أصبح التلوث الأخلاقي من اكبر الآفات التي تصيب الإنسان في نفسه وبدنه، بفعل التصرفات السيئة التي يقع فيها أفراد المجتمع، من إلقاء القاذورات والضوضاء والتدخين وعدم النظافة العامة، وهي الصورة السوداء عن معظم مدننا، التي رسخت في أذهاننا طرقها المهترئة والمحفرة والمنهارة، وانتشار الوحل والطين والمياه القذرة، والروائح الكريهة المنبعثة من أسفل ومداخل العمارات الإسمنتية التي عصف بها الدهر، فأصبحت تشكو ويلات زمننا الفاسد الذي أنتج أطفالا وشبابا استولوا على المساحات الضيقة التي غفل عنها الاسمنت، ومداخل العمارات التي حولوها إلى حلبة مصارعة، وأوكار للرذيلة وإدمان المخدرات والرقص على موسيقى الروك التي تعزف بها الحان

العنف التي جادت بها ثقافة الشوارع وأحياء المدن المظلمة، والتي طغت بألفاظها السيئة من شتم وسب لا يوجد قاموس لاحتوائه، عجزت الأذن البشرية على استيعابه، والتي تثبت فساد أخلاق المجتمع.

وقد أثبتت الدراسات العلمية، أن المدينة تزداد تلوثا، وأن الإنسان وحده هو المسؤول عن ذلك، ولهذا فان قضية التلوث، هي قضية أخلاق بالدرجة الأولى، ومن ثم فان الحاجة ملحة لدراسات نفسية ودراسات اجتماعية تعيد الإنسان توازنه، وللمدينة جمالها، وللمجتمع هويته وثقافته.

وهذا ما أكده "مسكويه" (مسكويه، 1326 ، صفحة 26/25)والذي يرى أن علم الأخلاق ينصب اهتمامه على دراسة الإنسان وسلوكه وتهذيبه، وضرورة التزامه بالفضائل، لأهميتها في حياته وبيئته، وهذا واضح في كتابه " تهذيب الأخلاق " و ذكر في هذا الكتاب " أن الإنسان مدني بالطبع" اجتماعي بالفطرة. وهذا يعني أن الإنسان لا يمكن أن يعيش بمفرده، بل لا بد من التعاون مع أفراد جنسه، من اجل حماية البيئة في ظل الحياة الاجتماعية.

3_مفهوم المدينة:

تعتبر المدينة منذ زمن بعيد، حقلا هاما للبحث العلمي الإنساني، وفي ضوء هذا الاهتمام الفكري والأوضاع التاريخية المميزة لهذه الحقبة من الزمن، أثارت الدراسات الحديثة جملة من الملاحظات، أهمها تشير إلى ولادة عالم جديد، يختلف اختلافا جذريا في بنيته وتكوينه عما عرفناه من قبل، فلا مجال لدراسة الحاضر وكأنه مازال ماضيا، والظن أن التغيير الذي يحدث هو مجرد انحراف عن الواقع، فالتغيير حقيقة وواقع، والمجتمع الصناعي اخذ طريقه إلى الزوال لولادة حضارة جديدة (دليمي، المدن الجزائرية وتحديات العولمة ، 2011، صفحة 25)

اختلفت أراء الباحثين وتفرعت مواقفهم التنظيرية بتفرع مناهجهم المعرفية البحثية، وتباينت استنتاجاتهم لإيجاد تعريف علمي محدد للمدينة فنجد:

روبارت بارك يرى المدينة على أنها :منطقة طبيعية لإقامة الإنسان المتحضر، لها أنماط ثقافية خاصة بها، حيث تشكل بناء متكاملا يخضع لقوانين طبيعية واجتماعية على درجة عالية من التنظيم لا يمكن تجنبها.

قدم ويرث تعريفا مفاده أن المدينة :عبارة عن موقع دائم للإقامة يتميز بكبر الحجم وارتفاع الكثافة السكانية، يسكنه أفراد غير متجانسين اجتماعيا (غيث، 1995، صفحة 129)

ويعتبر ماكس فيبر المدينة: أنها ذلك الشكل الاجتماعي الذي تظهر فيه أعلى درجات الفردية، فالمدينة عند فيبر تمثل بناءات اجتماعية تشجع على هذا السلوك الفردي، ويختلف تعريف المدينة اختلافا شديدا حسب ما يتعلق بها من مظاهر وخصائص يختلف حسب مواقع المدن (الفاضلي، 2000، صفحة 50/49).

التعريف الإجرائي المدينة ظاهرة اجتماعية، وهي ليست مجرد تجمعات من الناس حسب رأي روبرت بارك، بل هي اتجاه عقلي، ومجموعة من العادات والتقاليد إلى جانب تلك الاتجاهات والعواطف المتأصلة في هذه العادات،

والتي تنتقل عن طريق هذه التقاليد، وهي في النهاية مكان إقامة طبيعي للإنسان المتحضر، ولهذا السبب تعتبر منطقة ثقافية، تتميز بنمطها الثقافي المتعدد والمختلف.

4. مفهوم القيم:

لقد حرص الباحثون على تحديد مفهوم القيم تحديدا دقيقا وذلك لان مفهوم القيم من المفاهيم التي تتسم بالكثير من العمومية والتجريد، مما جعل مفاهيمها تتعدد حسب جوانب دراستها وزوايا تناولها، حيث يشير **ابن منظور:** القيمة ثمن الشيء بالتقويم وسمي الثمن قيمة لأنه يقوم مقام الشيء، وقومته عدلته، وتقوم الشيء تعدل واستوى وتبينت قيمته، وقيمة الشيء قدره وقيمة المتاع ثمنه، ومن الإنسان طوله، ويقال ما له قيمة إذا لم يدم على شيء ولم يثبت، ولذا يعبر عن الأرقام بالدوام" (المحيا، 1994، صفحة 26)

عرفها الخياط: بأنها منظومة القيم التي يتبناها الفرد باختياره، ويحرص عليها وعلى تثمينها في سلوكياته، سواء تضمنت ما اتفق مع الإنسان القيمية الأخرى، كقيم المنظمة أو قيم الجماعة التي ينتمي إليها أو ما اختلف معها (جميل، 1996، صفحة 49)

كما أشار الهاشمي وعبد السلام: إلى أن القيم مجموعة من الحالات الإدراكية الواقعية، التي توجه سلوك الفرد في مختلف المواقف، ويميز هذه الحالات الإدراكية اتصالها الثقافي، أي أنها ترتبط بثقافة المجتمع الذي تقع ضمن إطاره وخلال تفاعل الفرد معه." (السلام، 1980، صفحة 93)

ثانيا . مصادر التلوث الأخلاقي وأضراره

1_التنشئة الاجتماعية

إن الأسرة هي المؤسسة الاجتماعية الأولى المسؤولة عن تكوين شخصية الأفراد، من النواحي العقلية، والأخلاقية، والجسمانية، والنفسية، والاجتماعية ." (العود،، 1423 ، صفحة 82)

وقد اهتم الكثير من الباحثين بالأسرة لما لها من دور مؤثر وفعال في الانحراف، والسلوك غير السوي، وذلك لما تحتله الأسرة من أهمية حيوية في عملية التنشئة الاجتماعية للفرد، إذ عن طريقها تغرس في نفس الصغير خلال سنوات الطفولة المبكرة أنماط ونماذج ردود أفعاله، واستجاباته اتجاه التفكير، والإحساس والقيم والمعايير." (العود،، 1423 ، صفحة 83)

فنجد الأسرة حريصة على تربية الأبناء تربية سوية، وتضع كل شيء في سياقه الطبيعي والإنساني والاجتماعي، من لغة ودين وأخلاق، واهتمت حتى باللباس المخصص للذكور والمخصص للإناث، من حيث الشكل واللون، عكس ما نعيشه الآن، فلم نعد نفرق بين الذكر والأنثى شكلا وهنداما.

وفي دراسة لكل من" شو وماكاي" حول الوضع الأسري لمجموعة من المنحرفين عددها 1675 منحرفا بولاية شيكاغو، قارنتها بمجموعة أخرى ضابطة من غير المنحرفين عددها 8278 من منطقة إقامة السكن نفسها، وجد أن 42.1 بالمائة من المنحرفين جاؤوا من اسر متصدعة بالمقارنة ب 31.1 بالمائة من غير المنحرفين" (السيد، 1423 ، صفحة 75)

فالأسرة هي الدرع الحصين لبناء المجتمعات وضعفها، وعدم تماسكها يؤدي إلى غرس أخلاق دخيلة من الأنماط الغربية، التي جردت الجيل الجديد من عاداتنا الأصيلة، واحتل مكانها الانحراف والسلوك الإجرامي بين الشباب والمراهقين، وحتى الأطفال تحت السن القانوني.

وفي دراسة قام بها العالمان الأمريكيان" شيلدون والينورجلوك" عام 1953 أتت نتائجها، أن الأطفال الجانحين لا يعيشون مع الوالدين إما بسبب الطلاق أو الهجر، وان الأطفال الجانحين يتسمون بعدم احترامهم لآبائهم، وأن البيوت التي يعيش فيها الأطفال الجانحين تتسم بتفككها القيمي، وضعف الرقابة، وانعدام وسائل التسلية والترويح داخل الأسرة (عدنان، 1984، صفحة 295/294).

فالتنشئة الاجتماعية السليمة ليست بساطا ينام عليه الأطفال، أو جدرانا يحتمي فيها أفرادها ويعيشون كل في عالمه المنفرد.

2_حالة الحي والمحيط الاجتماعي

للحي دور مهم في التنشئة الاجتماعية، فالحي الذي تتوافر فيه قيم مجتمعية وخدمات لتغذية هذه القيم وإشباع الحاجات والرغبات يمثل حيا سويا، ويهيئ للفرد جوا يكسبه الشعور باحترام النظام والقانون والبعد عن السلوكيات المنحرفة، وقد ربطت الكثير من الدراسات بين طبيعة الحي وأثره على سلوك المقيمين فيه، ومن أهم هذه الدراسات دراسة "شو" الذي درس تأثير الحي على خمسة إخوة أشقاء، كانوا معروفين بتاريخهم الإجرامي الطويل، وقد وصف" شو" الحي الذي سكنوه بأنه منطقة جنح توفرت فيه أسباب عدم التنظيم الاجتماعي، وتشجيع السلوك المنحرف عن طريق احترام المجرم، وإضفاء طابع الرجولة والبطولة عليه، مما جعل هذا الحي بيئة فاسدة أنتجت هؤلاء المنحرفين" (مصطفىوآخرون، دت، صفحة 103/102).

فالبصمة التي يمكن للفرد عن طريقها أن يعرف نفسه هي علاقاته بالجماعة التي ينتمي إليها، والتي عن طريقها يتعرف عليه الآخرون، وهي نتيجة تفاعل مركبة بين نفسه ومجتمعه وثقافته والبيئة الاجتماعية التي ينتمي إليها.

3_الفقر

لقد لخصت" انديرا غاندي " رئيسة وزراء حكومة الهند سابقا علاقة الفقر بالبيئة في مؤتمر البيئة الإنسانية 1972 بقولها : إن الفقر هو أفدح الملوثات، فكيف نلوم أكثر من نصف سكان العالم الذين يعيشون في فقر وجهل، ومرض وسوء التغذية، وأمية وبطالة، وماذا نتوقع منهم الإحساس بالبيئة، وفي ماذا يفرق الأمر بالنسبة لمن لا يجد طعام يومه، ولا يأمل شيئا في المستقبل" (دية، 1994، صفحة 38).

وفي دراسة أجراها" بيرفن "عن جرائم العنف في فرنسا أوضحت، أن غالبية جرائم العنف ترتكب بواسطة أفراد ينتمون إلى اسر ذات دخل محدود، وتسكن الأحياء المتخلفة الأكثر فقرا" (شامة، 1430، صفحة 38).

فأكثر ما يميز الأفراد في المجتمعات الفقيرة خصائص نفسية وثقافية واجتماعية تميل إلى الانحراف وعدم الشعور بالانتماء لذلك المجتمع وهو ما يولد تناقضا في شخصية الفرد فيلجا إلى العنف والجريمة وإدمان المخذرات.

5. الاختلاط السكاني

تظهر تناقضات واضحة بين السكان في المدينة والريف، بين الصناعة والفلاحة، بين الجديد والعصري والتقليدي، نتيجة التطور الاجتماعي والاقتصادي والسياسي، انعكست جميعها على مستوى سلوكيات الأفراد ومصالحهم، وعلى مستوى منافع الجماعات وعلى تطور المجتمع نفسه، وانعكست على العقليات، وأثرت على الفكر الإنساني، وعلى الطبيعة الاجتماعية، ...فأصبح الإنسان في صراع بين القديم والجديد، بين ما هو انفع وأصلح في التشكيلة الاجتماعية القديمة، وأشكال العلاقات الجديدة الخاصة بالتقاليد، والاحترام بين الكبار والصغار، والرجال والنساء، والشباب والشيوخ." (دليمي، 2007، صفحة 70/71)

إن كل هذه المصادر السالفة الذكر جعلت البعض من الشباب الجزائري ينسلخون من هويتهم وقيمهم التي جعلت الكثير منهم يفقد الانتماء لمجتمعه ولثقافته الأم التي تشكل هويته، وأصبح بلا عنوان تتجاذبه صراعات الثقافات الدخيلة من المجتمعات الغربية.

ثالثا. مظاهر التلوث الأخلاقي في المدينة

1. تغير دور الأسرة

تراجعت سلطة الوالدين في السيطرة على ضبط سلوك الأبناء، فعلاقة الآباء بالأبناء وعلاقة الرجل بالمرأة كانت تحدد على أساس النظام الأبوي، والذي يتمثل في هيمنة الرجل على المرأة وهيمنة الكبار على الصغار، بما يعني توزيعا هرميا للسلطة على محوري السن والجنس (طبال، 2012، صفحة 420)

فما نشاهده اليوم في المجتمعات الحضرية من تراجع للمهام الأسرية، فنجد مثلا تزايد ثقافة الأكل في المطاعم والمنتزهات بدل الطبخ في المنازل وان كانت في البيت ينعدم الالتفاف حول المائدة في جماعة، ومشاهدة التلفاز كل في غرفته أو عبر هاتفه في يده، الأمر الذي قلل من التواصل الأسري وقلص بعض وظائف الأسرة المتمثلة في الدور التربوي، حيث أخذت شوارع المدينة ومرافقها من الملاهي والفنادق ودور السنما مهمة التربية، ما أدى إلى تدني الأخلاق وضعف الروابط الاجتماعية التي ارتبطت بالنفعية والمصلحة الشخصية، وهي تتناقض مع قيم المجتمع الجزائري، فنجد في السابق العديد من مظاهر التضامن الاجتماعي، المتمثلة في علاقة القرابة التي تدل على صلة الرحم وعلاقات الجيرة، ونتيجة غياب دور الأسرة أدى إلى هشاشة العلاقات بين الأفراد في الأسرة الواحدة وفي المدينة الواحدة.

2_الفردانية والاغتراب

شهد المجتمع الجزائري تغيرات أورثتها جملة من التحولات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، والتي برزت من خلالها جملة من مظاهر التلوث الأخلاقي، التي دفعت بالأفراد إلى الفردانية وتكريسها، وهي سلوكيات مرتبطة بالمصلحة الشخصية، جعلت الفرد كيانا مستقلا عن الجماعة التي ينتمي إليها في قراراته وتوجهاته وسلوكياته المستقلة، والتي توضح نزعته الذاتية، وهدا ما أكدته "نورة عابد" انه بهذا المفهوم أصبح كائن إنساني يمتلك وحدته الداخلية، ويؤدي وظيفته كنسق ونظام متكامل يمتلك الاستقلالية (دانيال، 2018، صفحة 104)

كما توصلت "لطيفة طبال" في مقالها التغير الاجتماعي ودوره في تغيير القيم الاجتماعية إلى ظهور تشكيلات جماعاتية ثانوية من الأصدقاء والزملاء والمعارف لا تقام على العلاقات القرابية، بل على أساس قيم حضارية وتظهر هذه التشكيلات في مجال مكاتب العمل والمدارس والتنظيمات المحلية (...) فالفرد لم يعد يلتزم بمعايير اجتماعية تنتقل عبر الأجيال لتنظيم سلوكهم، حتى لو لم تكن مسايرة مع التغيرات الجديدة، بل يختار ما يتناسب مع مؤهلاته أو رغباته أو مزاجه أو هواياته، أي يتحرر من التماثل مع أنماط عيش عاشها آباؤه وأجداده، وهذه الحالة لم تكن سائدة من قبل التحضر، إذ كانت الجماعة الاجتماعية الأولية من تمنحه

الدفء والمساعدة والدعم المادي والمعنوي، في السراء والضراء فيكون محصنا نفسيا واجتماعيا (طبال، 2012، صفحة 420)

3_. السلوكيات والعلاقات الاجتماعية

لقد انتشرت في الآونة الأخيرة الكثير من مظاهر التلوث الأخلاقي في المجتمعات الحضرية، تجلت واضحة في سلوكيات الأفراد نساء ورجالا، تمثلت في اللباس وقصات الشعر وتسريحاته، واختيار بعض المفردات اللغوية التي لم تكن موجودة سابقا، ارتبطت بأنماط وثقافة غربية، كالانحلال الخلقي وانتشار ظاهرة الوشم اقتداء بالفنانين والرياضيين، والتردد إلى الملاهي والاحتفال بأعياد الميلاد والاعتداء وتعاطي المخذرات، وتشبه الرجال بالنساء وتشبه النساء بالرجال، والذي أصبح ثقافة دخيلة على المجتمع ترسخت في ذهنية العديد من الشباب الجزائري، وأصبحت شكلا من أشكال التحضر، بل تعدى الأمر إلى الشذوذ الجنسي لدى الرجال والنساء تحت ثقافة الحرية الشخصية وحقوق الإنسان، ما أدى إلى تراجع معدلات الزواج وارتفاع نسبة العنوسة، وهذا ما أوضحه مؤتمر القاهرة وبعده مؤتمر بكين حول المفاهيم الجديدة للأسرة والبناء الأسري القائم على الرابطة الزوجية أو بدونه، واقروا الزواج القائم بين الرجل والمرأة أو بين الرجل والرجل أو بين المرأة والمرأة، وقد عملا هاذان المؤتمران على إضفاء اكبر قدر ممكن من الشرعية والحماية لمثل هذه العلاقات الشاذة والاعتراف بها، كذلك عملا على تعزيز المفردات المستخدمة في هذا النوع من الدراسات لمسخ القيم التي تمثل خصوصية المجتمع والتي هي نابعة من الإسلام والإتيان بأخرى بديلة، لها مقاصد مختلفة ترفض فكرة الزواج ويفضلون حرية العيش الثقافي المنفرد (طبال، 2012، صفحة 420)

4_ . ضعف الضبط الاجتماعي التقليدي

يرى "توبي" أن البلدان المتحضرة تزداد فيها الهوة بين المراهقين والكبار فالتوجهات والإرشادات الموجهة إلى البناء من قبل الآباء تكون غير مجدية ولا يخضعون لها، كون الجيل الجديد معرض لتأثيرات جديدة تعكس معايير وقيم التحضر والتصنيع، فيصبح الشاب أو المراهق معرض لتأثيرات الأصدقاء وجماعة الرفاق وتوجيهاتهم، ويقل الارتباط بالأسرة الممتدة، وتقل مكانة المسن، ويذهب الأبناء إلى المدارس ويتعلمون فيها المعايير الحضرية، ويحملون خواص وصفات العالم المعاصر (طبال، 2012، صفحة 420)

فمع التطور الحضري التحق الأطفال بالمدارس الخاصة أو الدراسة عن بعد، وتراجع دور الأسرة والدور التربوي لمدارس التربية والتعليم ودور المساجد، وزيادة حالة الحرية والبحث عن الرفاهية زادت من خلالها حالات الخروج عن المألوف وتقاليد المجتمع، فأصبح غير المألوف عرفا وقانونا.

. خروج المرأة إلى العمل

لقد كانت القيم السائدة في المجتمع الجزائري أن تتفرغ الزوجة لرعاية الزوج والمنزل والأولاد، فخروج المرأة إلى العمل كان له تأثير كبير على الحياة الزوجية والعلاقات الأسرية وتأثر الأبناء بعمل المرأة في العصر الحديث، كما فتح أمامها مجالات واسعة من النشاط الاجتماعي واحدث تغيرات هامة في النسق الاجتماعي، كإرسال الأولاد إلى دور الحضانة والاستعانة بالخادمات واستخدام الأدوات المنزلية الحديثة، والعمل على تنظيم النسل والإقلال من الزيارات العائلية واستقبال الضيوف، بسبب عدم تواجدها في البيت في اغلب الأوقات، وتجلت مشاكل جديدة كالصراع الظاهر أو المستتر بين الزوج والزوجة على السيادة والميزانية والادخار ومعاملة الأبناء والصلة بالنسق القرابي (طبال، 2012).

لقد أدى خروج المرأة للعمل إلى استغنائها عن بعض وظائفها المنزلية إلى تحقيق الكثير من المتطلبات في مساعدة الزوج، لكن في المقابل ساهمت بشكل كبير في ظهور بعض المشكلات السوسيو سيكولوجية خاصة على مستوى تربية الأولاد وعلاقات القرابة وعلى المجتمع عامة، لان الأم هي النواة الأساسية لصلاح الأسرة، والأسرة هي الخلية الأساسية لبناء المجتمع، وأي خلل في وظائف المرأة يؤدي إلى اختلالات أخرى في المجتمع.

رابعا: أزمة القيم في المدينة

شهد المجتمعات الحضرية تغيرات جذرية اجتاحت جميع مناحي الحياة وأحدثت تغيرات جوهرية على منظومة القيم، فانهارت قيم وحلت مكانها قيم أخرى، واختلت واختفت معايير ثقافية كانت سائدة ومحددة لهوية للمجتمع الجزائري، نتيجة الانفجار التكنولوجي الهائل الذي ادخل نماذج جديدة من التيارات الفكرية والدينية والثقافية، باسم الحرية والتطور والحداثة، التي لا تمت بأي صلة للموروث القيمي وخصوصيات الثقافة الجزائرية، وفي هذا الخصوص تقول "جاكلين روس" عصرنا هو عصر إفلاس المعنى والفراغ الأخلاقي الذي يدل على زوال المرجعيات التقليدية." (روس، 2001، صفحة 12)

والتي أثرت على السلوك والاتجاهات الفكرية للأفراد، وأنتجت اختلالا في الميول والمكانة والأدوار، وظهرت ظواهر وسلوكيات لم تكن موجودة في السابق، مست الثوابت والمقومات والقيم والهوية والخصوصية الثقافية للمجتمع الجزائري، والتي تحمل في طياتها دلالات سلبية، أنتجت لنا تلوثا أخلاقيا على المستوى الماكرو. سوسيولوجي والميكرو. سوسيولوجي تحت مسمى العالمية والحريات الشخصية وحقوق الإنسان، لكنها تحمل في باطنها أهدافا خفية، تسعى جاهدة لطمس كل المقومات التي تتنافى وغاياتها، لرسم خارطة ثقافية واحدة تحت

مضلة واحدة تضم كل دول العالم، لا تؤمن إلا بالقيم التي يصدرها النموذج الغربي خدمة لمصالحها وضمان بقائها.

لذلك تبز أهمية القيم سواء على المستوى الفردي المتعلق بالإنسان والحيز الشخصي له، الذي من خلاله يستطيع الفرد أن يثبت ذاته ويضبط سلوكه وعلاقاته مع الجماعة وفق قيم اجتماعية، من اجل تحقيق نوع من التوافق والتكامل بين أفراد المجتمع، وكذا بالنسبة للأسرة التي تأخذ على عاتقها تكوين الفرد النفسي والاجتماعي، بفضل الرعاية والاهتمام من الوالدين داخل البيت وخارجه، وترسخ له مقومات الانتماء والولاء وزع القيم الهادفة، التي تتوافق والبيئة الثقافية التي يعيش بها، لان تنشئة الطفل على قيم لا تتوافق والثقافة الاجتماعية في البيئة الخارجية تخلط عليه التركيبة السلوكية للعلاقات الاجتماعية، وتجعله عرضة لاختلالات فكرية وأخلاقية يصعب معالجتها مستقبلا.

كما تلعب المدرسة والجامعة دورا مهما لنقل القيم إلى الأجيال، وإكساب الفرد ثقافة اجتماعية نابعة من الثوابت والهوية الجزائرية، وهنا تكمن أهمية إعداد المناهج التعليمية التي ترسخ للقيم وتحافظ على الأخلاق السليمة، في ظل تصدير نماذج جاهزة لمناهج تعليمية تفرضها المجتمعات الغربية التي تعزز ثقافته.

وهذا ما أكدته "سليمة قاسي" بان كل مجتمع يرسم بصماته على المناهج الدراسية التي يطبقها في مؤسساته التربوية، والتي تسهر على نقل التراث الثقافي من الأجيال السابقة للأجيال اللاحقة، وإكساب الفرد خبرات اجتماعية نابعة من القيم والمعتقدات، ونظم وعادات وتقاليد المجتمع الذي يعيش فيه" (قاسي، 2016، صفحة 212).

خاتمة

بناء على ما سبق أردنا من هذا المقال الذي يحمل عنوان التلوث الأخلاقي في المدينة وأزمة القيم تسليط الضوء على مصادر التلوث الأخلاقي ورصد مظاهره وتشخيص أزمة القيم التي ضربت المجتمع الجزائري وتقديم مقترحات للعودة إلى الأصل والهوية العربية الإسلامية الجزائرية:

على المستوى الفري:

. تهيئة الفرد بمناهج تحدد السلوك الصادر عنه لتشكيل شخصيته الفردية وتحديد أهدافه في الإطار الصحيح.

. إعطاء الفرد فرصة إثبات ذاته ليكون قادرا على التكيف والتوافق مع المستجدات بشكل ايجابي.

. تحقيق الأمان للفرد من اجل مواجهة كل التحديات التي تواجهه في حياته.

. تعليم الفرد إدراك معتقداته وثوابته وهويته لفهم العالم من حوله.

. إصلاح الفرد نفسيا وأخلاقيا من اجل ضبط شهواته وانفعالاته تأكيدا لذاته.

على المستوى الاجتماعي:

. تحديد أهداف الأفراد والمثل العليا والأخلاق السامية للحفاظ على تماسك المجتمع.

. مواجهة التغيرات والتحديات التي تتنافى والقيم والعادات والتقاليد ما يسهل على الأفراد الحفاظ على الثقافة المحلية واستقرار كيان المجتمع.

. تحديد معالم القيم والهوية والخصوصية الثقافية التي تبرر كيان المجتمع ووجوده.

المراجع

1. ابن منظور. (دت). *لسان العرب، مادة خلق، الجزء الثاني.*
2. إسماعيل قيرة. (2011). *واقع الفقر ومواقف الجماعات المهيمنة في ظل تنامي آليات الاستغلال الجديدة.* الجزائر: مجلة الإنسان والمدينة، العدد 02، قسنطينة.
3. الألباني. (دت). *كتاب الأخلاق والصلة 1،.* حديث رقم 92، الصحيفة 45،.
4. البخاري. (دن). *صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا اسلم الصبي فمات هل يصلى عليه، رقم 1358، ومسلم في كتاب القدر.* ، باب كل مولود ألا ويولد على الفطرة رقم 2658 .
5. التير مصطفوآخرون. (دت). *انحراف الأحداث، كتاب الوعي الأمني الرابع، .* سلسلة تصدرها لجنة متخصصة.
6. الدوري عدنان. (1984). *أسباب الجريمة .* الكويت: منشورات السلاسل.
7. العمري صالح بن محمد آل رفيع العود،. (1423). *الانحراف في ضوء العوامل الاجتماعية.*
8. الهاشمي عبد الحميد، فاروق عبد السلام. (1980). *البناء القيمي للشخصية كما ورد في القران الكريم.* السعودية: بحث مقدم لندوة خبراء التربية الاسلامية، المنعقد بمكة المكرمة، مركز البحوث التربوية، جامعة ام القرى.
9. بوبكر جيملي. (2011). *تلوث البيئة الاجتماعية .* الجزائر: فعاليات الملتقى الوطني حول البيئة والمجتمع، مخبر علم اجتماع الاتصال للبحث والترجمة، جامعة منتوري قسنطينة.
10. جاكلين روس. (2001). *الفكر الأخلاقي المعاصر، ترجمة عادل العوا، ط1.* بيروت: عبيدات للنشر والتوزيع.

11.خياط محمد جميل. (1996). *المبادئ والقيم في التربية الإسلامية*. السعودية: سلسلة البحوث التربوية والنفسية، مطابع جامعة أم القرى .

12.رمضان السيد. (1423). *الجريمة والانحراف في المنظور الاجتماعي والعمري* .

13.ريتشارد سيلفان. (دت). *هل هناك حاجة إلى أخلاق جديدة بيئية ، الفلسفة البيئية*. عالم المعرفة.

14.سليمة قاسي. (2016). *دور المدرسة في الحفاظ على التراث كهوية ثقافية*. الجزائر: مجلة العلوم الإنسانية، العدد السادس، أم البواقي.

15.عبد الحميد دليمي. (2011). *المدن الجزائرية وتحديات العولمة* . قسنطينة : مجلة الإنسان والمدينة، منشورات مخبر الإنسان والمدينة، العدد 01.

16.عبد الحميد عباس أبو شامة. (1430). *جرائم العنف وأساليب مواجهتها في الدول العربية*. الرياض: جامعة نايف العربية.

17.عبد الكريم زيدان. (1408). *،أصول الدعوة*. مصر : دار العرف.

18.عطوي عبدالله. (1993). *الإنسان والبيئة* . بيروت: مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر.

19.عطية عاطف،عبد الغني عماد. (1998). *البيئة والإنسان*. لبنان: منشورات جروس، بيروت.

20.علياء حاتوغ بوران، محمد حمدان أبو دية. (1994). *،علم البيئة*. عمان: دار الشروق.

21.لطيفة طبال. (2012). *التغير الاجتماعي ودوره في تغيير القيم الاجتماعية*. الجزائر: مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة سعد دحلب البليدة، العدد الثامن.

22.لويس دانيال. (2018). *نقلا عن نورة عابد، الفردانية أفق إنساني*. الجزائر: مجلة تنوير، العدد الأول، جامعة وهران.

23.محمد عاطف غيث. (1995). *علم الاجتماع الحضري، مدخل نظري* . الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.

24.محمد علي بهجت الفاضلي. (2000). *دراسات في جغرافية العمران الحضري*. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.

25.مساعد بن عبد الله المحيا. (1994). *القيم في المسلسلات التلفازية السعودية*. دار العاصمة.

26.مسكويه. (1326). *تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق*. القاهرة: مطبعة والدة عباس الأول.

27.مسلم. (دت). *صحيح مسلم ، الجزء الأول، كتاب الإيمان، الباب 14، حديث رقم 42/66*